قصائد المرأة حاملة الستارة

شعر
اسم الكتاب : قصائد المرأة حاملة الستارة
اسم المؤلف : شاكر لعيبي
تصميم الغلاف

الطبعة الأولى : 2015

الناشر : دار مخطوطات



Makhtootat press and publishing house
Mauvelaan 67
2282 SW Rijswijk
The Netherlands
E-mail: nasirmounes@hotmail.com

شاكر لعيبي

قصائد المرأة حاملة الستارة




ختم هذا الكتاب

1

عندما خلعتُ حجابي
كان الصعود إلى النور بطيئاً
كانبثاق الكمأة
كان احتكاك أعضائي مع الهواء
سعيداً كأنني اخترق الحُجُبَ
للوصول إلى الأرجوحة الربّانية

عندما خلعتُ حجابي
كانت صرّارات الليل
تتساقط من عباءتي

وأنا أخترق المدى
مثل سبّاحةٍ ماهرةٍ

2

عندما خلعتُ حجابي
أضاء القمر أرنبة أنفي
سقط حاجبايَ على الصحن
متحركين مثل كائنٍ حيّ يقاوم الموت

عندما نزعتُ حجابي
ارتجف المدى أمام المحاربِ
الراغبِ بالفوز بالعتمة التي ظنّها ملاكاً

3

سقط الأحمر على بياض تنورتي في قيظ آب
أوراق تشرين جفّتْ على شَعْري
ما زلتُ متشبثة بقضبان الضريح:

مولاي هذي صبيّتك الخارجة من جناح
الفراشة
مولاي أنا ابنتك التي لم يلْمسها حفيفٌ
ابنتك التائبة من ذنوبٍ لم ترتكبها قطّ

4

رميتُ قميص نومي إلى فم التنين
ساقاي المكتنزتان مرميتان على القطيفة
الأرجوانيّة
دمي يتلألأ بين الفرجتين
تتنفس في خُصلاتي الجنّياتُ
في عجيزتي خصوبة الأمهات الأوائل
ظلّي وحده يبقى في هذا المكان
بين الأوراق والثمار وأيدي القاطفين

5

يا إلهي يدي ارتجفتْ أيضاً بعد أن لامَسَتِ
الضريحَ
شفتي انهارتْ مثل شفقٍ على حائطٍ

وفي منتصف الليل
ثدياي أُضيئا بضوء المصباح في الشارع

يا إلهي يديْ عقربٌ على زغب صدره
وفمي يتحطّم مثل صلصالٍ على فمه
عبر حجابٍ من السحاب الأسود
الموشك أن ينهمر على ظهري

6

سدّ جناحُ الغراب بوجهي فضاءَ الحديقة
الأيام قشٌ يتأوّه تحت ضغط ثديَ
الليالي تلتمع في صحني
هذه يديْ مشدودة على العشبة اليابسة
هذا خلخالي مرميّ في صلصال الخلق
هذه أمي تقف على عذريتي
وهذا أبي يذبح الذبيحة

7

أشربُ من جرّتين

أشرب وحدي من ماء لا تضاهيه سماءٌ

في وحشة الفسقية بعد منتصف الليل

عندما ينام الفانون

دون رعشة الحيوان الأعجم

ولا ارتعاشات القمر على وجهٍ ممحوٍّ

أحْمِدُ الظلَّ على الحائط

وأسبّحُ بمجد المُنْسلّ مساءً

إلى الحجرة المنعزلة

8

مدّ يدكَ إلى دائرتي

ستطلّ إطلالة لترى فواكهي

ثم تقطف ضوئي

ارفعْ ضوء كأسي إلى فمكَ

لنشعّ جميعاً بالسعادة

هنا وهناك

اليوم كما في الماضي

تقدّمْ إلى منعطفي

لنعرج كلانا في غموض الغابة

كي نسقط في هفوات الخطوة الأولى

9

ها هو قرباني لكَ

وردياً رطباً

مثلما أحببتَ منذ الأزلْ

ها هي الفراشة

تُحوّمُ حول شَعْري

ها هو ذا العسل

يسيل على المرايا

في هذا الفندق القديم

ها هنا الفعل الطفيف

يقود إلى الوحدة القصوى

10

الحُفيْرة الصغيرة أسفل ذقني
والشق الأكبر في شفتيْ السفلى
إشارات لحدائق تهذي طوال الليل
بينما تُلامِس أطرافُ أشجارها السماءَ

لعل لذة الحائكات في عزلتهنّ
مغروسة في انحناءتي؟

لعل السفرجلة والرمّانة تجتمعان على
طاولتي
من أجل مجد الغائر والمفطور

من أجل الرحلة القصيرة على جسر ضوئيّ

11

وقفتَ أمامي راعياً
يهشّ بعصاه عن أيكتي السوداء
شاعراً ضاوياً
ينقـِّــب في حفريات كآبتي

سأبكي قليلا من قسوة الرعاة
لأذوب في روائح المراعي

12

حين خلعتُ حجابي
امتدّت الأيادي اللا مرئية إلى رقبتي
فجأةً، كان الهواء يضرب في الهواء
كانت الأكاسيا على أطراف أصابعي
كانت عينايَ تحتشدان بالكواكب

سَالَ الندى بطيئاً على فضة سُرَّتي
وكانت قامتي مائية
بَزَغ من بين كتفيها فَجْرَان اثنان

13

لم تتأوّه زهرةٌ طيلة النهار على قميصي
لم تَطْفُ ضفائري بَعْدُ على سطح الماء
لم يهاجمْ كينونتي مهاجمٌ

الخفاشُ اليتيم وحده
ينام بين سدى ولحمة قماشي
لا شفة لي لكي ألعق الهواء
لعقةً تليق بحرّاس الموانئ

14

يا مُنقذي

ها أنا ذا مع قرطيَ الطويل

الساقط لصق ينابيع الغاسلات

أجلسُ على حجر الطاحون بانتظار إشاراتكَ

أصَفّي غسيلي حتى غيبوبته الأخيرة

بانتظار نسيم ملائكتكَ

يا مُنقذي

تطلّعْ إلى حُمرة شفتيّ في هذا الغروب
الغامض
انظرْ إلى تفّاحة آدم مرمية قرب غيظي

يا مُنقذي انقذني
من هذه العيون التي تحدّق في خاصرتي

15

لم يَذُقِ الملوحةَ على بشرتي
لكنه ترك لحبّات السنبلة مهلة للسقوط
في حقل طالما اجتمعنا بين أثلامه

ألْهُوْ في نهر الأموات في السرّ
بينما تلهو علناً
بريش جناحيَّ الضاربين إلى الغبرة

انظرْ إلى الجهة الأخرى
ثمة ملاك يواسي اليمامة النوّاحة على برج
الساعة

16

مطبخي حديقة الأعشاب الجافة
أتشمّم فيه صراخ القرفة
وبكاء الزعتر
وقفزات اليانسون إلى حنجرتي
رقصتُ فيه مع الزنجبيل في كأسٍ واحد
عشبة مريم رفرفتْ في يوم عُرْسي
والكركم مَرِضَ على أطراف أصابعي
كان أكليل الجبل عريسي
وكان النعناع يشهق شهقة الموت معي

17

أتنفس روائح الحيوانات تحت الخيمة
حيوانات ضائعة عبر حزمة الضوء والغبار
ترعى في وداعة الحواس المُغطّاة بالستائر
بأقمشة الشاش، بمناديل الأعراس
بالإبريسم المُوشّى بالذهب
بكتان المصريين المبتسمين في ظلام
الأبدية

بخيش أكياس الشعير الراقد في

الريف

أشمُّ شباب الخريف المتطحلب يوماً بعد آخر

على طولي الفارع

18

أنا الفاتنة وتلك القبيحة ضائعتان

في نفق العباءة الموشّاة

الخافقة أمام المرآة الكبيرة المعلّقة

الهواء يضرب بها فتشفُّ عن عجيزةٍ عنيدةٍ

الملاك أيضا يتقلّب فيها

دون قدرةٍ على المضيّ أبعد من ذلك

رجال المقاهي المنتصبون على الكراسي

يتطلعون

بحسراتٍ تنطلق من أفواههم

كأنها مناطيد ملوَّنة

19

عندما خلعتُ القناع

كان الماء الأول يغسل حيضيَ الصغير

كانت عرّافات الجبل يرقصنَ في عيد آدم العاري

كان النهر يجري بين فرجة ساقيَّ

كانت جبهتي مُحلاة بالتمائم

أنظرُ عبر عيدان السلّة

إلى جمَال العالم الآيل للذبول

بعين الهرّة المنسلة ذات فجر

20

من وراء المرايا قبَّلْتــــني أنتَ بفمٍ زجاجيّ
من ورائها قبّلتكَ أنا بشفاهٍ زيتيةٍ
أسناننا العاج تساقطتْ في المرج
وحدقاتنا سَالتْ في الفضاء

عشيقان هائمان تحت بروق العاصفة

21

يدي الراقدة في قفّاز الأميرات
يدي، يدي التي لم تمُدَّ لطائر الحسوّن أفقاً
ولا للفاجر قِرْنيْ هلالٍ
لم يلثمها الفمُ الثمِلُ

يدي التي غطستْ في حرير العيد
تغيبُ في جراب الخنجر
الذي أطعن به هذا الهواء

22

عندما وضعتُ ستارتي
هبطتُ إلى العالم الأدنى
كان نواح المريميات عالياً
كانت الديدان تدبُّ على بقايا المائدة

جسدي كان ورقَ مخطوطةٍ
مُبقّعة بالرطوبة

23

بعد أن انتزعتُ حجابيَ عن وجهي
ضرب البرق على الطيّات الفاخرة

ثم التمعتْ شاماتُ وجهي
في المرآة التي نظرتْ فيها جدّتي

عندما خلعتُ حجابي
انهمرَ تراب الكوكب النائي
بين رموشي
ساقطاً على تفّاحة الجنة

ذبلتْ غُصينات العروس
قرب عمود الربّة الشاخصة في الظلمة
رمزاً لغيابي

24

تحت الستارة تنام ضغينة العائلة
كأنها ترقد في سبات الكرمة الشتويّ
أنام أنا نفسي هناك تحت وَرَقةٍ
بحدقتين زجاجيتين أعمق من صمت النمرة
قرب الزهرة الخنثى التي تتصاعد روائحها
من ثياب الربّات المُحجّبات

على الستارة تتثاءب الزهور المطرَّزة
المصابة بالسأم أكثر مني

25

تحت الستارة سولارا

سولارا التي يُزَوّق الشبحُ شفتيها

سولارا ينبط من رحمها البنفسجُ

سولارا بقناع الطفلة حاملة الدرع والقوس

سولارا الواقفة على الساحل

بساقين من العواصف

سولارا ذات الشفة البلسميّة والسُّميّة

ذات الشامة المختبئة في رقبتها كاللذّة
الصغيرة
وبيدها أغصان الزيتون التي تمسح بها
أعضاء عشّاقها

26

قلتُ لنفسي:

لا تأكلي خبزكِ في الظلام

خاتمكِ العقيق

مُهْدىً من عَدَمٍ إلى عَدَمٍ

شفتاكِ تنضجان كالتــيِّــنْ الأسْوَد

في الحديقة المهجورة

قلتُ لنفسي.......

27

سولارا شبيهتي

تمضي في الماضي

إلى جهة النهر الأخرى

دون الالتفات إلى الحُبارى

المُحوِّم حول رغيف كتفيها الأبيض

الساخن....

28

عندما خلعتُ حجابي
كنتُ حصاةً مكشوفة للبرق
كنتُ زهرة مندّاة
ملتصقة بالنافذة

تتساقط بتلاتي على الرخام
بتلة، بتلة، بتلة
قبل أن تضربني رجفة الغامض

29

عندما خلعتُ حجابي

كنت أمدُّ له على الفور

كأسَ سولارا التي شرب منها المرارة

كان عمودُه الفقري حبلاً للذّتي

كنتُ أشدّ عليه

لكي أصعد إلى منصّة السقطة الأخيرة

كان ظهري بلون المشمش
ورقبتي مزرّقة من وطأة الفم الأخرس

30

في حفلة العيد
رفرفَ الملاكُ الفاسقُ قرب شفاهي
قرب السكّين التي تقطع الحلوى
رفرف على الطبق الصينيّ
على أزرار القميص الصدفية
على خشب الطاولة ذات النبيذ العالي
ثم تركني لطهارةٍ
تذوب كالسُّكَّر بين شفتين نَهْريتين

31

عندما رفعتُ ستارتي
تهاوت عليَّ جثةٌ باسمة

لماذا أشربُ من الكأس ذاتها في خلوتي الدائريّة؟
وأحوم في دارة العاصفة نفسها
على أطراف الرعب الأقصى؟
بين منحدراتٍ حريرية
كأنني بجعة برقبةٍ مُخدَّرَة
تمضي مع المجرى إلى حتفها؟

32

في القطار المنسلّ تحت خفق الأجنحة
كأنه رَفَعَ فجأةً عني حجابي
وبشفة الذئب الوردية
انحنى على زهرة الماندولينا
الواقفة بين الأثلام المشوَّكةِ الحواف
كأنه يختبرها بلسانٍ أعرض من فأسٍ
ويوشك أن يأكل تيجانها

كأنه يغتصب الأسيرة العذراء
في فضاءٍ مائعٍ تموء فيه
قطة ذات أنياب أسفنجية

33

في ضفائري المعقودة بين ظلام الليلتين
تنام رغباتي الخضراء
ضفائري التي لا أراها،
تتدلّى خلفي وتمسّ السهلَ المُغطّى بالزغب
الحيوانيّ

34

خبزتُ الحياة منذ حين في الباحة
وأكلتها ساخنة في الدهليز

إلامَ ستظلّ أيها الوجه مكشوفاً
لعتمة الكهف وحدها ؟

علامَ تأكل أيها الفمُ
هذه الأسرار في وضح النهار؟

هذا الرغيف
وهذه النار
كلاهُما جسدي

35

ما جدوى العين الحوراء
الجوّالة بين أهداب هذه الستارة؟
ما جدوى الأيام الراقدة في غبار الخزانة؟
ما جدوى المرايا أمام الصور المحجوبة

الأيام الراقدة في الجرّة الكبيرة الخضراء
في السوق القديم

36

المحاربة في غطائها القرمزيّ
تغمس قدَمَاً في حوض الغاسلات
وقدَماً في بُرْكة التائبات

حيث الوساوس تنبعث من بين الأعشاب
والسعادة تحوك أحابيلها قرب المُطْلَق

تفرك حصاةً على حصاة
وخاصرة تتلوّى على خاصرة

37

الوحيدة رغم الرقم المُضاعَف في الساعة
رغم الطيّات التي تعيق نبات المخدّة عن
النمو
رغم الكأس البلوريّ الذي ترى فيه وجهَها
المُزيّغ

الوحيدة في كثرة روائح شَعْرِها حولها
في غزارة ينابيعها
في أصوات موتها المبعثر
في العزلة التي تصير صنواً للاكتمال

38

عندما خلعتُ حجابي
كنتُ أجتاز ساحرات العتبة

كنتُ الفريسة الكاملة ذات الفم المبتهل
بهمهمات لا يسمعها غيري

العتبة التي أوجعتْ يأسي

39

بين المنجل والسنبلة
شهوة الضوء المرتجف على الشفرة

في عزلة الخاتم المُحْكمة
تقبع يدي

في هذه الخزانة الكونيّة التي لم يتنفّس أحد

بَعْدُ

بين صفحات مصنّفاتها

تطيش نظراتي

40

ما زلتُ بَعْدُ في القرمز القمريّ
النابت على حجارة البحيرة

في هذه الحلكة الصيفية
ما زلتُ
أتمسّك بالغُصين الذي سيُخصّب الحيوان
المريض

41

عندما خلعتُ الحجابَ

سقط العقلُ أمامي

حجراً كريماً

يشقّ ضياؤه سُدى ولحمة النسيج

يسطعُ لكي يخفتَ

ثم يخمدُ ليسطعَ

في مدار كوكبٍ ناقصٍ

42

عندما رفعتُ القناعَ
كانت جبهتي مُلطّخة بصلصالٍ وُلِدَ الكائنُ
منه
بآثار العُصّابة التي شَدّتْ بها مريم
خصرها
بظلال الهلالات المتكسّرة على مياه
المستنقعات

كنتُ سعادة الحشرة الطافية

في الكأس المقدَّسة

43

عندما رفعتُ الحجابَ

كانتِ المسافة بين السطح والقاع

غطسة العُقاب الساقط من علٍ

مُجَمْهِراً المدى بين جناحيه

ملتقطاً نوّارة قلبي

44

عندما وضعتُ الحجابَ
كان عِجْلُ القبيلة يأكل
أطرافَ ملاءتي

45

عندما رفعتُ حجابي
التمعتْ قطعة الذهب على جبهتي

كنت أُمْسِكُ أخيراً بالضوء الهارب على السلالم
كنت أصعدُ في تراتيل المغنية
الحزينة حتى إغماءة الأبجدية

كنت أصعد، مرتعشة، على درجات الآجُر

تحت شمسٍ تختبئ تحت حجابي

46

عندما رفعتُ حجابي
كانت الملائكة تتجمهر على حائط الدار
كنتُ مُبقَّعة مثله ورطبة
على وشك التناثُر مثل جصّه
كنتُ حليبية مثلها
وغاطسة بالأعشاب مثل مدرسةٍ ريفيةٍ

ككافِ تشبيهٍ أنثىً

47

عندما وضعتُ حجابي
اتّسعتْ عينايَ على سعة الأفق
خارج أسوار سجنيَ القطنيّ
وأنا أرى خلال الفتحتين كثافة الضوء
المنهمر من أوراق الشجرة
حيث تتزاوج الطيور

48

عندما رفعتُ حجابي
وجدتُ تلك القبلة
تنبض في تراب المَمْشى

قدمي كانت بيضاء

بعد خطوتي الأولى
تطايَرَ في الغبار شبحُ أوهامي

على أطراف شفتي زَبَدُ موجةٍ حارّةٍ
كان استسلامي منتصراً

49

عندما رفعتُ حجابي
نبضتْ في راحة كفي شهوةٌ
لإمساك تلك الثمرة الذهبية
النامية على أهداب الستارة

ارتفعتُ حينها خطوةً في الظلام
مع أجراسٍ صلصلتْ بجسدٍ هوائيّ

50

عندما رفعتُ حجابي
ذابتْ أصابعكَ على وجنتي
وفاضتْ دموعي على رقبتكَ
كأننا نتلمّس العَدَمَ المتنفس في أجسادنا

كان البخار بطيئاً يَصّاعد من كلّ مكان

51

كنتُ أقول لنفسي:
لم تُظْهِري
إلا الندبة الممحوّة على كتفكِ البيضاء
لعصا الجلاد المُقنَّع بالغابة

لم تكشفي سوى نصف حنجرتكِ
في الابتهالِ الجماعيّ أمام نار الأيتام

السماء تتسع في عينيكِ
من أجل أن يمّحي في هوائها
الكثيرُ من البلابل

52

عندما رفعت حجابي
كنتَ، أيها الهشّ، تقبِّل عمودي الفقريّ

كان يئنّ مع القطة منتصف الليل
مُقلّباً العشبة التي تسحره وتشفيه

53

كنت أقول لنفسي:

الكثيرُ من الجواهر يتفتّت قربَ شفتيكِ

الكثيرُ من الآلام يتصاعد

من يدِ الخبّاز

الساكنةِ على بطنكِ

الكثيرُ من الأصوات يتناثر

على حوافّ النبع

حيث أفردّتِ شعركِ

54

لم أكن أرى، كنتُ في شاش النعاس
أتلمّس على حافةِ السرير
ضياءَ أصابعكَ وظلّها

لم أكن أرى
كنتُ أبكي بعينين أخريتين

تونس 2011–2013